

أنصاف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي

أ.د. سمير الدروبي

جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية

لقد خدم حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء^(١) في العصر المملوكي الممتد قرابة ثلاثمئة عام تقريباً عدد كبير من التراجمة من مختلف الطوائف والأجناس، ويمكن تصنيفهم إلى ما يأتي:

- كتاب ديوان الإنشاء:

أدى ديوان الإنشاء دوراً كبيراً وخطيراً في إدارة الدولة المملوكية وتسيير أمورها، وامتدت صلاحيات صاحبه المسمى بكاتب السر أو صاحب الدواوين الشريفة أو كاتم السر إلى أكثر الجوانب أهمية في تصريف شؤون الحكم سواء أكانت مدنية أم دينية أم سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

فديوان الإنشاء ولا سيما كاتب سره مسؤول عن التعرف على أخبار الممالك المختلفة وعرضها على السلطان، وهو القائم بكتابة التعيينات لكبار موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين، وهو الراسم لحدود صلاحياتهم في وصاياه التي ترفق بتفاليدهم أو تواقعهم أو مناشيرهم.

وفسوق ذلك، فإنه كان مسؤولاً عن نشاط جهاز البريد وتنظيمه تنظيمياً دقيقاً براً وبحراً وجواً، وكذلك عرض ما يحصل عليه البريدية من أخبار^(٢)، أو يأتون به من رسائل على السلطان، بل إن صلاحياته تجاوزت الإدارة الداخلية إلى تنظيم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى عن طريق

١. انظر: الدروبي، "حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ع ٦٢، ٢٠٠٢م، ص ١١-٧٣.

٢. انظر: الشيباني، رسالة رصف الفريد في وصف البريد: ٦-٧ (مقدمة المحقق: سمير الدروبي).

مخاطباتهم وتلقي رسائلهم، واستقبال سفرائهم ، وتنظيم إقامتهم ومقابلتهم للسلطان^(١) .

وبناء على ما ذكر من مهام الديوان وواجباته، فإن صاحبه يحتاج إلى عدد كبير من الكتاب الممثلين بالعربية وغيرها من اللغات السائدة في ذلك الوقت، ولذا فإننا نجد في مصادر ذلك العصر ما يشير بوضوح إلى أولئك الكتاب المترجمة الذين يحسنون العربية وغيرها من اللغات.

ولو وقفنا على العصر الأيوبي الذي كان العصر المملوكي امتداداً له لوجدنا كاتباً كبيراً يلي القاضي الفاضل أهمية في دولة صلاح الدين، وهو العماد الأصفهاني(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذي ذكر لنا في ترجمته أنه كان ينشئ الكتب بالعجمية^(٢) .

وقبل أقول نجم الإمارات الأيوبية وبداية الزحف المغولي إلى بلاد الشام نجد أن أمراء الأيوبيين بدمشق ومصر قد استخدموا في ديوان الإنشاء واحداً من الكتاب الأعاجم وهو المؤيد بن الموفق بن محمد الدقترخوان الحنفي الذي قدم إلى دمشق في أيام الناصر صلاح الدين داوود (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ثم باشر العمل في ديوان الإنشاء بمصر أيام نجم الدين أيوب الذي حكم بين سنتي ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م، وكان المؤيد: "يكتب خطأ حسناً، وينظم وينثر بالعجمي والعربي، وكان قدومه في أيام الناصر صاحب الشام، فاستخدم في ديوان الإنشاء لأجل كتب التتار فإنها كانت في تلك الأيام ترد بعضها عجمي، فاستخدم لتعريبها وكتابة الأجوبة عنها"^(٣).

أما في العصر المملوكي الذي كان أكثر إيغالاً في العجمة؛ لغلبة العناصر المملوكية من تركية وجركسية ورومية ومغولية وفرنجية على الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً، وقد وضع لنا

١ . انظر: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف: ١٥٥-١٥٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٩٢/١١-٩٣.

٢ . الصفدي، الوافي بالوفيات: ١/١٣٣.

٣ . الصفدي، الوافي بالوفيات: ج٢٠، ورقة ١٦٠ ظ-١٦١ و.

الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً، وقد وضح لنا القلقشندي - مؤرخ ديوان الإنشاء وكاتب أضخم وأجمع دستور له - ذلك قائلاً: "فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه، كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية: من العلماء والكتاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد"^(١).

وقول القلقشندي الأنف الذكر يفسر لنا كثرة التراجمة في الديوان من ناحية، وإقبال بعض كتاب السر على تعلم اللغة التركية أو غيرها من اللغات لما ذلك من أهمية في إدارة شؤون الدولة، وخير مثال على ذلك علاء الدين علي بن أحمد بن الأثير (ت ٧٣٠/١٣٢٩م) وهو من أبناء أشهر العائلات الكتابية في العصر المملوكي، وكان علاء الدين مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون حيث عهد له بصحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر في منصبه حتى وفاته، وبلغ من المكانة والعظمة في الدولة المملوكية مبلغاً كبيراً حتى أصبح يقلد أمراء المماليك في أثناء أدائه لعمله في الديوان، وكان كما صورته الصفدي: "يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك، فيهم من هو بعشرة آلاف درهم وأكثر، وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان سماطين، ولا يتكلم إلا بالتركي، وممالسيكه يُعربون كلامه للناس..... وأصل في الديوان كلما كثيرة"^(٢).

ولعل في قول الصفدي السالف "وأصل في الديوان كلما كثيرة" ما يدل على أن علاء الدين بن الأثير قد أدخل كثيراً من المصطلحات والألفاظ والرسوم السائدة في دواوين المغول والترك والفرس، في مكاتبات ديوان الإنشاء المملوكي وبخاصة إذا عرفنا أنه كان يقرب الأدباء والحكماء الوافدين على دولة المماليك من بلاد العجم، مثل عبد اللطيف العجمي (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م) الذي وصف بالفصاحة بالتركي والعجمي^(٣).

ومن كتاب السر المجيدين للغة التركية أبو بكر بن محمد بن محمد المعروف بابن مزهر (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م) الذي وصفه لنا عصره الساخاوي في أكثر من مصدر بأنه قد "جوّد اللسان الذي لا يستغنى عنه في مخاطبة الأتراك"^(٤).

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ١٦٦-١٦٧.

٢ . الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ١٥٦-١٥٧.

٣ . انظر : المصدر السابق: ١١٧-١١٨.

٤ . الساخاوي، النيل على رفح الإصر: ٤٧٧؛ الضوء اللامع: ٨٨/١١.

والعبارة السابقة موجية لنا بأنه لم يقتصر على التعلم فحسب، بل وصف بالتجويد للغة التركية والبراعة فيها، الأمر الذي يفسر لنا الألقاب التي أطلقت على كتاب السر مثل "لسان الممالك" و"لسان ملوك الأمصار"، والمعنى كما فسره القلقشندي بأنه " يتكلم بلسان ملوك الممالك"^(١).

ويعدّ شيرزاد بن ممدود بن شيرزاد بن علي شرف الدين الرومي (ت ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) مثلاً على التراجمة والكتاب الذين عملوا في دواوين الإنشاء العربية وغير العربية، فقد كان والده كما ذكر ابن حجر من بعلبك، ثم تحول إلى دمشق، وسمع بها من ابن عبد الدايم وحدث عنه: "ثم سافر إلى الروم صحبة الطواشي صواب الأوحدي، فأقام نحو عشر سنين وولي بها الإنشاء، وترسل إلى الملوك، ثم توجه في البحر إلى مصر، وتقرر ترجماناً للدولة للكتب التي تردّ من بلاد العجم في سلطنة قطز إلى أن مات في ثاني المحرم سنة ٧٠٧/١٣٠٧م بالقاهرة"^(٢).

فالنص السالف يكشف لنا عن مصدر تعلم شيرزاد بن ممدود للغة الرومية(التركية)، وإن تعيينه ترجماناً في الديوان بني علي خبرة سابقة تمثلت في خدمته في أكثر من ديوان من دواوين الإنشاء في إمارات الأتراك ببلاد الأناضول التي كانت تعرف آنذاك ببلاد الروم أو البلاد الرومية، مما يجعل من هذا الترجمان الكاتب خبيراً بأحوال تلك الإمارات حين الحاجة إلى مخاطبتهم من ديوان الإنشاء المملوكي.

وتمدنا المصادر بطائفة من أسماء الكتاب الذين عرفوا أكثر من لغة، وتكلموا بعدة أسنة كمحمد بن شريف بن يوسف الزرعي المولود بدمشق، والمتوفى في سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)، الذي قال عنه المقرئزي بأنه: "كان يكتب في التوقيع، وله معرفة بالإنشاء... ويعرف عدة لغات"^(٣)، ووصف بأنه "تعانى الخط المنسوب، وسافر إلى بعلبك، وتعلم من ياقوت وغيره،

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ٦٨/٦.

٢ . ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢/٢٩٤-٢٩٥؛ وانظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه: ٢٨٤/١.

٣ . المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١١٣؛ وانظر: الصفدي، أعيان العصر: ٢١/٣.

وكان تام الشكل حسن البرّة، متأنقاً في أمره، يتكلم بعدة ألسن، واتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير قبل السلطة، ثم أثابه الجاشنكير بإدخاله ديوان الإنشاء^(١).

ويبدو أن دولة المماليك كانت جاذبة للكتاب والعلماء والحكماء، ومن هؤلاء الوافدين نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م) وكان كاتباً مجوداً وموسيقاراً بارعاً، قدم إلى دولة المماليك، وكان مقرباً من أمرائهم، ثم طلب العودة إلى بغداد، حيث قام بكتابة مراسلات حكام بغداد إلى المماليك، يقول الصفدي: "وكان (كذا) الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه، وكان والده النور حكيماً، يطب ملوك المغل وغيرهم، وكان نظام الدين يكتب المنسوب، ويضع الكوفي والمغلي على أحسن ما يكون"^(٢).

ومن التراجمة الذين أسندت إليهم كتابة السر في دولة المماليك الجراكسة بدر الدين محمود بن عبدالله الكلستاني، وقد عُرف بالكلستاني لكثرة قراءته لكتاب الشاعر العجمي السعدي المسمى بـ"كلستان" التي تعني بالتركي حديقة الورد، وقد قدم من بغداد إلى دمشق، واتصل بنائبها الطنباغا الجوباني، ثم وفد على مصر فولّي تدريسي الشيخونية والصرغتمشية، وقد نعت بأنه: "يتكلم بالعربي والفارسي والتركي وهو لسانه"^(٣).

أما سبب تعيينه كاتباً للسر فإنه بينما كان السلطان المملوكي متوجهاً إلى حلب في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م للقاء اللنك (تمرنك أو تيمور لنك) ورد عليه "كستاب تمرنك بعبارة تركية على منزلة الصالحية، فطلب من يكتب جوابه بالتركية، وذلك لعجز بدر الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف، فقيل له عن بدر الدين محمود السرامي"^(٤) الذي قرأ الكتاب، وأجاد الإجابة

١. الصفدي، أعيان العصر: ٢١/٣-٢٢.

٢. الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ٣٢٢-٣٢١/٣.

٣. الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان: ٢١/٢.

٤. المصدر السابق: ٢٣/٢-٢٤.

عليه، فأمر السلطان برقوق أن يكون بصحبة الدوادار قَلْمَطَاي، ثم توفي كاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري في السنة نفسها، فعين الكلستاني كاتباً للسر في الدولة المملوكية، واستمر الكلستاني كاتباً للسر حتى وفاته في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م^(١).

ويُعد إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب القبطي (ت ٨٠٨هـ/٤٠٥م) من أشهر التراجمة في عصر المماليك الجراكسة، وأصله من أبناء الكتبة القبط بالاسكندرية، وجدّه غراب هو أول من أسلم من آبائه، واتهم بأنه ممن دلّ الفرنج على عورات المسلمين بالإسكندرية عندما قاموا بغارتهم المشهورة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م. وقد تعلم إبراهيم "لسان الترك حتى حدق فيه"، وتولى عدة وظائف هامة في الدولة المملوكية أهمها: وظيفة ناظر الخاص التي يقوم صاحبها في التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ووظيفته ناظر الجيش، وكاتب السر، إلا أنه ترفع عن وظيفه كاتب السر لمكانته عند السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين الدين فرج بن برقوق الذي حكم بن سنتي (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-٤٠٥م)^(٢).

أما أكثر التراجمة جولاناً في الأفاق، وطوافاً في الأرض، فهو أحمد بن محمد المعروف بابن عريشاه (ت ٨٥٤هـ/٤٥٠م) الذي اقتاده تيمور لنك أسيراً من دمشق وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره تقريباً، وذلك في سنة (٨٠٣هـ/٤٠٠م)، فتعلم الفارسية والتركية وبرع فيهما، ودخل بلاد الخطا طلباً للعلم، وهو يفيض لنا في سيرته الذاتية في إجازته لتلميذه يوسف بن تغري بردي قائلاً: "واستقدت اللسان الفارسي والخط الموغولي وأتقنتهما، واجتمعت في بلاد المغل بالشيخ برهان الدين الأندكاني والقاضي جلال الدين السّيرامي، وأخذت عنهما، وقرأت النحو على مولانا حاجي تلميذ السيد الشريف.

١. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨٨/٢-٩٠؛ السخاوي، الضوء اللامع: ١٢٦/١-١٢٧؛

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٧٥/٤.

٢. انظر: المقريزي، درر العقود الفريدة: ١٠١/١-١١٤؛ السخاوي، الضوء اللامع: ٦٥/١-٦٧.

ثم توجهنا إلى خوارزم فأخذت عن مولانا نور الله. ومولانا أحمد الواعظ السرائي بن شمس الأئمة، وكان يقال له ملك الكلام فارسياً وتركياً وعربياً، ثم توجهنا إلى بلاد الدشت وسراي... واجتمعت في قيريم أيضاً بمولانا محمود البلغاري، ومولانا محمد اللبّ أبي، وعبد المجيد الشاعر الأديب صاحب قصة يوسف المسماة بمونس العشاق بالتركي وهي من أطراف ما صنّف.

ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحواً من عشر سنين، فترجمت للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد بن مراد بن أدرخان بن عثمان رحمه الله تعالى كتاب "جامع الحكايات ولامع الروايات" من الفارسي إلى التركي في نحو ست مجلدات، وتفسير الإمام أبي الليث السمرقندي وتعبير القادري بالتركي نظماً، ثم باشرت عنده الإنشاء، فكتبته عنه إلى ملوك الأطراف عربياً وفارسياً وتركياً^(١)

ويجعل ابن عريشاه وفاة السلطان ابن عثمان حداً فاصلاً لإقامته في بلاد الترك التي أقفل عنها متوجهاً إلى وطنه القديم الشام، فدخل حلب في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، ثم تحول عنها بعد أربعة أشهر إلى دمشق ثم أدى الحج، وسافر في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م إلى القاهرة واتصل بالسلطان جقمق، واتخذ من عاصمة المماليك دار إقامة عاكفاً على الترجمة والتأليف حتى وافته المنية في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م^(٢).

ومما يدل على أهمية معرفة اللغات لكاتب السر أنه نعت بـ"لسان ملوك الأمصار" و"لسان الممالك" أي أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك كما يقول الفلقشندي^(٣)، ويعضد ذلك أن واحداً من كتّاب السر بالقاهرة ثم دمشق وهو شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قد أبدى ملاحظات لغوية عن اللغتين التركية والمغولية ربما دلت على معرفته بهاتين اللغتين^(٤).

١ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ١٤١/٢-١٤٣.

٢ . انظر: المصدر السابق: ١٤١/٢-١٤٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: القسم السادس (١٠-١١)، ص ١٠٤.

٣ . الفلقشندي، صبح الأعشى: ٦/٦٨.

٤ . انظر: العمري، مسالك الأبصار: ٣/٥٧، ٨١، ٩٧، ٩٩.

وعلاوة على ذلك فإن معرفة اللغات الأعجمية لم تقتصر على كتاب ديوان الإنشاء، بل نجد أن بعضاً من الكتبة في الدواوين الأخرى حدقوا اللغة التركية، فسلیمان بن إبراهيم (ت ٧٤٤هـ/ ٣٤٣م) وصف بأنه: "يتكلم فصيحاً باللغة التركية"^(١).

- المهندارية:

وهم "جمع مهندار، وهو فارسي معرب وأصله مهنم ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك الضيف"^(٢) كما يقول الخالدي العمري، أما السبكي فقد عرّف المهَندار بأنه: "اسم لمن يقوم بأمور قُصّاد الملوك ورسلمهم"^(٣)، وأما القلقشندي فإنه جعل المهندارية من وظائف أرباب السيوف، ويقوم صاحب هذه الوظيفة بتلقي الرسل الواردين وأمراء العربان وغيرهم^(٤).

ويكون المهندار تابعاً لكاتم السر أي صاحب ديوان الإنشاء، وبشروط فيه أن يكون: "عاقلاً ذكياً يقظاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً في اللغتين"^(٥).

ويبدو لنا أن مهمة المهندار ومساعديه كانت على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنه أول رجال الدولة الذين يستقبلون القُصّاد والرسل ويقومون بأمر ضيافتهم، ويتكلمون معهم بألسنتهم ولغاتهم، وينزلونهم في أماكن إقامتهم اللانقة بهم، ومن ثمّ فإن المهندار يترك الانطباعات الأولية في نفوس الرسل عن الدولة المضيفة لهم، ولذلك فإن السبكي في كتابه "معيد النعم" الذي يُعد من كتب الإصلاح السياسي والإداري في الدولة المملوكية اشترط على المهندار: "أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويُرهب القُصّاد، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم، وعظيم

١. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ١٧/٥.

٢. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ورقة ١٠٣.

٣. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم: ٣١.

٤. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢٢/٤.

٥. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ورقة ١٠٣.

سطوتهم، واتفق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين وذنبهم عن حريم الملة الإسلامية وحفظ النظام، وأن يُنهي أمور القُصاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، ورُبّ من يتعين عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه، بحسب ما تقتضيه الحال^(١).

ومن مهام المهندار أن يتعرف على سبب مجيء الرسل وقصدهم من سفاراتهم، ويقوم بإبلاغ كاتب السر بذلك، ثم يقوم بإحضارهم بين يدي السلطان للاطلاع على رسالتهم وغرض قدومهم^(٢)، ثم هو ملزم "بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد"^(٣).

ويفهم مما أوردته المصادر بشأن المهندار ومساعديه بأنهم يقومون بالترجمة الشفوية التي يقصد منها معرفة غايات القُصاد من زيارتهم لبلاط الدولة المملوكية، ثم تنظيم مراسيم إقامتهم واستقبالهم وسفرهم.

- أمراء المماليك:

يرجع المماليك في نشأة دولتهم إلى أيام الأيوبيين، وعلى وجه الخصوص أيام الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم من (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م)، فقد أكثر نجم الدين من استجلاب المماليك الأتراك وكون منهم فرقة في جيشه تعرف بالمماليك البحرية^(٤) الذين كانوا نواة الجيش المملوكي فيما بعد، ومعظم المماليك الأتراك من قبيلة القَبْجاق وهي إحدى القبائل التركية التي تسكن منطقة آسيا الوسطى حول بحر قزوين^(٥).

١. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم: ٣١-٣٢.

٢. انظر: De. Jean. Thnaud , Lc Voyage D'Outremer (Paris, 1884), P. 180, 190-191.

٣. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ١٠٣ظ.

٤. ابن واصل، مفرج الكروب: ٢٧٤/٥-٢٧٥، ٢٧٨.

٥. انظر: العيني، السيف المهند: ١٩-٢٠، عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك: ١/١٠١.

وعلاوة على الجنس التركي فإن الجركس^(١) هم العنصر الثاني في الجيش المملوكي إضافة إلى ما ضم إلى هذا الجيش من تتر^(٢)، وروم جاءوا من أصول تركية وأوروبية^(٣).

وبناء على ما تقدم فإن هؤلاء المماليك ينتمون إلى جنسيات متعددة ذات لغات مختلفة، نقلوها معهم إلى موطنهم الجديد الذي تم تعريفهم فيه.

وتمدنا كتب تراجم العصر المملوكي وتواريخه وحولياته بأسماء عدد كبير من المماليك ثنائيي اللغة، ولا غرو في ذلك فإن بعضهم جاء إلى دولة المماليك طلباً للحماية، وفراراً من تسلط التتار ووحشيتهم في التعامل مع الناس^(٤).

فأياز بن عبدالله الصالحي (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) أحد حجاب الظاهر بيبرس كان واحداً من التراجمة الذين يتقن بهم بيبرس ويعتمد عليهم، وقد أرسله بيبرس سفيراً إلى أبغا بن هولاقو في سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، وذكر ابن الفرات في ترجمته: "وترسل عنه إلى أبغا ملك التتار وإلى غيره... وكانت الملوك تعتمد عليه في المهمات الجلية"^(٥).

ولا ويمكن أن يفهم من عبارة: "وترسل عنه" أنه كتب إليه بالعربية؛ لأن كبار الكتاب العرب في ديوان الإنشاء كانوا يضطلعون بذلك.

ويمكن الاستدلال من ترجمة أقطاي فارس الدين الصالحي المعروف بالمستعرب (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وهو من كبار الأمراء في دولة الظاهر بيبرس، بأنه كان عارفاً باللسان الإفرنجي وذلك لقيامه بمهمة السفارة بين

١. سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك: ٢٢٣.

٢. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر: ١٠٥-١٠٦، ١٣٧، ١٣٨.

٣. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢-٣٠٤، ٣٦٤، ٤١٦.

٤. انظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه: ٨٥/١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٢٢/٢.

٥. ابن الفرات، تاريخ: ٨: ٧٤؛ وانظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٣٤.

السلطان المنصور علي (حكم من سنة ٦٥٥-٦٥٧هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م) وبين الفرنج وذلك عندما رأى منه المعز: "ذكاءً وفطنة ورأياً سديداً، فندبه إلى مواصلة الفرنج فسعى [بينهم] وبين الملك المعز إلى أن أصلح له الفرنج، وأطلق جماعة من أسر الفرنج بسفارته، وكذلك من المسلمين"^(١).

ومن هؤلاء الذين جمعوا بين العربية والمغولية قبجق المنصوري الذي كان نائباً للشام، وهو من الفرسان المعروفين بالباس والشدة، حكى عنه صلاح الدين الصفدي قائلاً: " ويجيد الكلام والخط باللغة المغولية، وحكى لوالدي عن نفسه أنه كان كاتباً لحسن تقو أحد نويذات المغول، وأن أباه كان رأساً من رؤوس الكتابة بالمغولية، مجيداً في الترسل فيها، وقال له: مثل ما عندكم كلام جيد وكلام ردي هكذا عندنا"^(٢).

ومن الأمراء التراجمة أوتامش الأشرفي^(٣) (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، ويُذكر في بعض المصادر بلفظة أيتمش^(٤)، وكان في الأصل مملوكاً للسلطان الأشراف صلاح خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، ثم ولاء الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) نيابة الكرك، وكان مقرباً من الناصر الذي أرسله غير مرة سفيراً للقان بوسعيد ملك التتار الإلخانيين في العراق وفارس، ووصف بأنه: " يعرف بالمغلي لساناً وكتابه، ويدرب آداب المغل، ويحكم في بيت السلطان بالياسة واليسق الذي قرره جنكزخان، ويطالعها ويراجعها، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم، ويستحضر تواريخهم ووقائعهم، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتاب إلى السلطان بالمغلي يكتب هو الجواب عنه"^(٥).

وفي مقاله كاشفة للمستشرق ليتل Little يتبين لنا الدور الدبلوماسي الكبير الذي أداه هذا الترجمان في توطيد العلاقات، وحل الخلافات القائمة بين السلطان

١. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١١٢-١١٣.

٢. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧٨/٢٤.

٣. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: ٢٠٩/١.

٤. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ٤٥٣/١.

٥. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: ٢٠٩/١.

الناصر محمد، وبين ملك الإلخانيين بوسعيد، وذلك في ثلاث رحلات سفارية قام بها في السنوات: ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وذلك لما تمتع به من معرفة تامة باللغة المغولية، وبما له من مؤهلات شخصية مكنته من أداء هذه السفارات الناجحة^(١).

ومن التراجمة الأمراء: الأمير ظهر بغا أو ظهير بغا المغلي أو طاير بغا (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م) وكان يُغادر حضر إلى دولة المماليك في سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، في عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي قرّب بغا وجعله أميراً، وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد بالمغلي ويكتب الأجوبة، وكان يفد عليه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة إلى مائة فيبرهم، ويصلهم، فمنهم من يقيم بالقاهرة، ومنهم من يرجع^(٢).

ويبدو من المعلومات المتوافرة لدينا أن بعضاً من أمراء المماليك كان يعرف أكثر من لسان، فلبان الرومي كان يترسل عن السلطان إلى أكثر من دولة^(٣).

والأمير منكلي بغا الصلاحي الحاجب كان يكتب خطأ حسناً ويتكلم بالعجمية والتركية الخالصة^(٤)، وأياز بن عبدالله كان يترسل عن السلطان إلى ملوك التتار وملوك الإفرنج^(٥)، ومنكلي بغا الصلاحي الظاهري المعروف بالعجمي (ت ٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، أرسل سفيراً إلى تيمورلنك خلال حكم الناصر فرج، وكان قهسياً: "ويذاكر بالشعر باللغات الثلاث: العربية والعجمية والتركية، ويكتب

١. Donald p. Little, "Notes On Aitamis a Mongol Mamluk", Die Islamischen Welt Zwischen Mittelalter und Neuzeit, Feutschrift fur Hans Robert Roemer zum 65.

Geburtstag, cd. Ulrich Haarmann & Peter Bachmann, (Beirutre Texte und Studien, 22). Wiesbaden: Franz Steiner Verlage, 1979, PP.387-401.

٢. انظر: الصفدي، أعيان العصر: ٢/٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢/٣٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ٢/٢٩٣.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٤/٣٩١.

٤. العيني، عقد الجمان: ٤٣٨.

٥. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٣/١٢١-١٢٢.

الخط المنسوب" (١) ، فأرساله سفيراً وإنشاده للشعر باللغات: العربية والعجمية والتركية، دليل على تمكن هذا الأمير من هذه اللغات.

وعندما أصدر السلطان قانصوه الغوري بتاريخ ٩١٥هـ/١٥٠٩م مرسوماً يمنح فيه امتيازات تجارية لطائفة الفرنتيين (الفلورنسيين)، ذكر فيه أحد كبار المترجمين في نهاية العصر المملوك وهو الأمير تغري بردي الترجمان، ونص الوثيقة: "... وبرز أمرنا الشريف يكتب أمان شريف للقنصل والتجار وما سأل فيه حضرة الملك وجهز ذلك إليه، ورسماً للمجلس العالي الأميري الكبرى المجاهدي المؤيدي الذخري النصري الأوحدي الأكمل الأعزي الأحضي السيفي عمدة الملوك والسلاطين تغري بردي أحد أعيان الأمراء العشرات بالديار المصرية، والترجمان بأبوابنا الشريفة-أدام الله سعده- بأن يكتب إلى حضرة الملك بما فيه إطابة خواطر التجار بما سيعلم حضرة الملك بأمر تجاره وجماعته بالحضور إلى ثغر الإسكندرية المحروس...". (٢).

ويبدو أن تغري بردي الترجمان واطب على القيام بواجباته ومهامه الكبيرة والخطيرة (٣) إلى أن قبض عليه السلطان في شهر محرم من سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، متهما إياه بمخاطبة ملوك الإفرنج وإطلاعهم على بعض أسرار الدولة، فبقيت وظيفة ترجمان الإفرنج خالية قرابة ثلاث سنوات، ثم عين أحد المماليك ترجماناً ويدعى يونس الترجمان الذي كان نائباً لتغري بردي في محرم من سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م (٤).

ومما يدل على كثرة المماليك الذين يجيدون اللغات الأعجمية وبخاصة التركية والمغلية ما ذكر القلقشندي عن ترجمة كتب بعض القانات من ملوك الشرق: "يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو

١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/١٧٩.

٢. M. Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorentino. (Firenze, 1863), P. 224.

٣. انظر: Thnaud, Le Voyage Douremer P. XLVI.

٤. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور: ٤/٢١٠، ٢٦١-٢٦٢.

الخاصكية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان، ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به"^(١).

ويروي لنا اليوسفي خيراً عن أحد ممالك الأمير برصبغا أو برسبغا الحاجب الناصري (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) عند حديثه عن قتل أحد أمراء المغول في حمى الدولة المملوكية في سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٢م، فيقول: "وبلغني من بعض ممالك برصبغا، كان يعرف بلسان المغل، أنهم لما وقع بينهم وبين برصبغا المفاوضة قال لهم الرجل أمير ركب العراق بلسان المغل..."^(٢).

- العلماء والأدباء:

أدى العلماء دوراً مهماً إبان العصر المملوكي، وقد تجلّى ذلك الدور في تعليم الناس، وفي الوقوف في وجه الظلم، وفي شحذ همم الأمة ونفوسها؛ لتقف صخرة قوية في وجه ما يتهدها من أخطار عظيمة تجلت في سيول التتار الجارفة التي لا تنقطع، وفي غارات الصليبيين وحملاتهم المتواصلة على السواحل الشامية والمصرية، وسواحل الجزيرة العربية في أخريات أيام الدولة المملوكية.

وكانت الترجمة من اللغات الأعجمية إلى العربية، أو من العربية إلى اللغات الأعجمية مما اضطلع به نفر من علماء ذلك العصر سواء أكانوا من الفقهاء أم المتصوفة أم المؤرخين أم الحكماء والفلاسفة، مقدمين خبراتهم العلمية والمعرفية سائغة لديوان الإنشاء المركزي في القاهرة، أو للدواوين الفرعية التي نسجت على غراره في النيابات الأخرى كدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغزة والكرك.

١. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢١٦/٦.

٢. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر: ١٧٥.

ومن الفقهاء المترجمين: فخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا بن خوجا المولود بدورك ببلاد الروم سنة ٦٣١هـ/—١٢٣٣م، والمتوفى سنة ٧١٣هـ/—١٣١٣م، ويروي صلاح الدين الصفدي عن شيخه أبي حيان الأندلسي (ت ٧٢٥هـ/—١٣٢٤م) سيرة هذا الترجمان، قائلاً: "كان شيخاً فاضلاً عنده أدب وله نظم ونثر وقد نظم "القدوري في الفقه" نظماً فصيحاً سهلاً جامعاً، ونظم قصيدة في النحو تضمنت أكثر "الحاجبية"، وفخر الدين هذا كتبنا عنه لسان الترك ولسان الفرس، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً أعانه على ذلك مشاركته في علم العربية، وله قصائد كثيرة منها "قصيدة في قواعد لسان الترك" ونظم كثير في غير فن. ودرس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان قديماً قد تولى الحسبة بغزة وكان بارع الخط... وقد أدب بقلعة الجبل بعض أولاد الملوك"^(١). وما رواه لنا الصفدي عن أبي حيان الأندلسي في غاية الأهمية؛ لأنه يكشف لنا عن المصدر الأساسي الذي استقى منه أبو حيان مادته في معجمه الموسوم بـ "الإدراك إلى لسان الأتراك" من ناحية، ويكشف لنا عن شخصية عالم مترجم مختص باللغات: العربية والفارسية والتركية من ناحية أخرى.

ومن الأدباء المترجمة: عبد اللطيف بن خليفة العجمي (ت ٧٣١هـ/—١٣٣٠م)، وكان أخوه كحال غازان ملك التتار، هاجر إلى الدولة المملوكية، إلا أننا لم نستطع تحديد تاريخ وفوده عليها، وصف بأنه "كان أدبياً فاضلاً لبيباً عاقلاً على ذهنه غوامض من العربية... يترسل بغير سجع... وخطة قوى إلى الغاية من تعليق العجم... يتحدث بالتركي العجمي فصيحاً"^(٢).

وكان العجمي متصلاً بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وبغيره من كبار الأمراء، وجعل له راتب في جملة المماليك السلطانية، وعرف بأنه كان خبيراً بأخلاق الملوك ومخاطباتهم وسياساتهم، وعارفاً بأخبار وقائع المغول،

١. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣١/٥؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ٢٨/٥؛ السيوطي، بغية الوعاة: ٢٤٦/١-٢٤٧.

٢. الصفدي، أعيان العصر: ١١٧/٢-١١٨.

ومستحضرأ لكلام الحكماء، وقد قرّبه القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر وكانت له به خصوصية^(١)، ويبدو أن السبب في ذلك هو الانتفاع بمعرفته للغتين التركية والفارسية.

أما المترجمون من المتصوفة، فإن علي بن محمود بن حمد القونوي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) خير من يمثل هذا النوع من المترجمين، فقد كان القونوي مدرساً بدمشق في المدرسة القلجية التي أقرى الطلبة فيها منهاج البيضاوي، والحاوي الصغير، ومختصر ابن الحاجب، ثم تولى مشيخة الشيوخ فيها بدلاً من قاضي القضاة شرف الدين المالكي بحكم وفاته، وفوق هذا فإنه عُرف بورعه وتديته وتواضعه^(٢).

أما صلته ودوره في ديوان الإنشاء، فإن إقامته بدمشق قد جعلت منه قريباً من ديوان إنشائها الذي كان يلي في أهميته ديوان القاهرة، ولذلك فإن الصفدي يصفه مرة بأنه: "كان يُعرب الكتب الواردة على ديوان الإنشاء باللغة العجمية"^(٣) وينعته مرة أخرى بأنه: "كان يُعرب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية"^(٤).

ومعلوم لدينا بأن الصفدي قد ألف كتابه "الوافي بالوفيات" الذي هو مصدرنا في قوله الأول قبل كتابه "أعيان العصر" الذي اشتمل على عبارته الثانية، الأمر الذي يوحى بأن الصفدي أراد بالزيادة الواردة في قوله: الثاني إزالة ما اعترى عبارته الأولى من ليس وغموض في قوله: "اللغة العجمية" التي لا يدري ما هي، هل هي اللغة الفارسية أو المغولية.

ومن العلماء المترجمين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الذي كان بارعاً في علوم الأوائل والعقليات والشرعيات، وقد ورد على دمشق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م بعد أدائه لفريضة الحج وزيارته للقدس

١. الصفدي، المصدر السابق: ١١٧/٢-١١٩.

٢. الصفدي، المصدر السابق: ٢٥٧/٢.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٨٩/٢٢.

٤. الصفدي، أعيان العصر: ٢٥٧/٢.

الشريف، وسمع منه ابن تيمية، وقال في حقه: " اسكتوا حتى يسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله"^(١)، ثم طلبه السلطان محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م وقربيه، وكان: " ما يعرف اللغة التركية فقعد به ذلك، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدين قوصون"^(٢).

ويورد لنا بدر الدين العيني في حولياته خبراً بخصوص أحد المتصوفة العجم وهو نصر الله بن عبد الله بن إسماعيل العجمي (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الذي طاف بلاداً كثيرة، ثم قدم إلى مصر، فعرض السلطان عليه كتابه السر ولكنه أبى ذلك^(٣). وخبر العيني المتقدم يدل بجلاء على أن معرفة هذا المتصوف للغة أعجمية أو أكثر هي التي أهلته لمنصب خطير كمنصب كاتب السر من جانب، وتدل على تراجع في مصطلح ديوان الإنشاء الذي يقصر هذه الوظيفة على بلغاء الكتاب وكبرائهم من العرب من جانب آخر.

أما الفلاسفة والحكماء الذين نمت الترجمة وترعرعت في رحابهم، ونهضوا بأعبائها، وخاضوا عبابها في العصر العباسي كحنين بن إسحاق وحبيش الأعسم وقسطا بن لوقا وغيرهم فإن العناية باللغات الأعجمية كانت من شأنهم ودينتهم^(٤).

وخير من يمثل الحكماء الترجمة في العصر المملوكي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي ولد بسنجار ونشأ بها، ثم هاجر إلى مصر وتوفي فيها، وقد برع في الطب والهندسة، والحساب والمنطق والفلسفة، علاوة على الأدب والتاريخ، وحفظ أشعار العرب من جاهليين ومولدين ومحدثين ومتأخرين^(٥).

ويبدو أن نشأته وذكاءه، وسعة دائرة اهتماماته، قد مكنته من اكتساب أكثر من لغة وبخاصة المغولية والفارسية، ويتضح ذلك من خلال رواية فتح الدين بن سيد الناس اليعمري (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م) المهاجر الأندلسي إلى مصر، والتي أوردها الصفدي: "... وأما أحوال الشرق ومتجددات التتار في بلادهم في أوقاتها

١. الصفدي، أعيان العصر: ٢٦٢/٣.

٢. المصدر السابق: ٢٦٢/٣.

٣. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط): ٣٨٥-٣٨٧.

٤. انظر: سمير الدروبي: "منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد الملك السعدي، ع ١ ص ٥١-٩٣، ١٩٩٩م.

٥. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٥-٢٦.

فكانما كانت القُصاد تجيء إليه، والملطفات تنلي عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان"^(١).

- الأسرى:

لم تهدأ الحرب بين المسلمين والفرنجة حتى بعد طردهم على أيدي المماليك من الساحل الشامي في نهاية القرن السابع الهجري، بل استمرت غاراتهم على الشواطئ المصرية والشامية، وغزاهم المماليك في مواقعهم الجديدة كقبرص ورودس وغيرها، وفي أثناء ذلك وقع بأيدي المسلمين أسرى كثيرون. ومن هذا النوع من التراجمة الأسرى: ابن تغري بردي الذي روى قصة أسره واعتاقه الإسلام لبدروا مارتيرد انجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م.

فيذكر لنا انجلاريا: أنه عندما وصل إلى القاهرة استقبله الترجمان، فسأل انجلاريا ابن تغري بردي الترجمان عن اسمه، والبلد التي أتى منها، وكيف صار إلى ما هو عليه؟ فقال له الترجمان: "إنه ابن رجل من بلنسية يسمى لويس دبرات Luis de Prate، وأنه ولد في قرية مجاورة لبلنسية تسمى مونبلانش Monblanch، وعندما شب عمل بحاراً، فأرادت المقادير أن تلقى سفينته، عاصفة هوجاء على مقربة من الساحل المصري، وتحطمت السفينة وألقت الأمواج بركابها على الشاطئ، فأخذه الناس فيما أخذوه إلى السلطان؛ لأن عُرف البلاد يقضي بأن حطام السفن الغارقة أو الجانحة وكل ما فيها يعتبر ملكاً للسلطان ويساق إليه، إلا إذا كانت السفينة لتجار معروفين، أو ثبت أنها لتجار يحملون صلحاً أمان.

١. المصدر السابق: ٢/٢٦.

وقد قال هذا الرجل: إنهم سجنوه وعذبوه ثلاث سنوات حتى اضطر إلي اعتناق الإسلام بلسانه خلاصاً لنفسه، وأما قلبه فظل مسيحياً مخلصاً. وقد خنتوه على كبر، واختار هو من الأسماء الإسلامية -في رؤية- تغري بردي^(١).

ومن الأسرى الذين عملوا تراجمة بلبان الجنوبي الذي يمكننا أن نعرف عنه وعن دوره في الترجمة من خلال ما ذكره لنا أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي كان نائباً لوالده رئيس ديوان الإنشاء في أيام الناصر محمد بن قلاوون، ولكن أحمد العمري اختلف مع السلطان فأودع السجن، ويذكر أنه تعرّف في السجن على بلبان الجنوبي الذي أمده بأوثق المعلومات عن الإمارات التركية الإسلامية في بلاد الأناضول، وعن الممالك الرومية (اليونانية) مثل القسطنطينية وطرابزون.

وحكى لنا العمري قصة الترجمان بلبان الجنوبي قائلاً: "بلبان الجنوبي عتيق الأمير الكبير بهادر المعزي، وهو ممن له الخبرة التامة بما يحكيه، وهو الذي أفاد كيفية تصوير هذه البلاد، واسم هذا بلبان في بلاده دومانوكين دورياً بن بادا دورياً، وهو من بيت حكم في جنوة، اتفق أنه جمعت بيني وبينه المقادير في الاعتقال وعنه أخذت ما قال"^(٢).

والناظر في مسالك الأبصار يجد أن هذا الترجمان قد أمّد العمري بمعلومات وافرة وقيمة تتعلق بـ: حدود وعملة واقتصاد وسكان وجيوش وأمراء وجغرافية جميع الإمارات التركية الواقعة في آسيا الصغرى والتي كانت تربطها علاقات ودية مع المماليك، ومن هذه الإمارات التي عرفها بلبان وتحدث عنها: كصطمونية وقاوييا وبرسا واكيرا ونيف ومغنيسيا ومرمرابركي وفوكه، وانطاليا وقراصار وأرمناك وكرمينان وطنغزلو وتوزا وعميدلي^(٣).

١. حسين مؤنس، سفارة بدرو مارتيرو أنجلاريا سفير الملكين الكاثوليكين إلى السلطان الغوري

(ديسمبر ١٥٠١-فبراير ١٥٠٢)، ضمن: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-أبريل

١٩٦٩: ٤٦٠/١-٤٦١.

٢. العمري، مسالك الأبصار، ١٦٤/٣.

٣. المصدر السابق: ١٥٤/٣-١٧٩ وانظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٥١-٥٥.

وفوق ذلك فإن هذا الترجمان المدعو بيلبان الجنوبي كان المصدر الأساسي الذي استقى منه العمري مادة رسالته الموسومة بـ "ممالك عباد الصليب" وهي رسالة طريفة عن الممالك الأوروبية، ونظام الحكم فيها، وملوكها وأرضها وسكانها ونظمها الإدارية وجيوشها ومناخها... الخ.

- التجار الأوروبيون من بنادقة وجنويين وفلورنسيين وإسبان ومسلمين وغيرهم:

عمل سلاطين المماليك على استجلاب التجار من كل الملل والأجناس تنشيطاً لحركة التجارة التي أصبحت مصدراً هاماً من مصادر خزيرنتهم، ولذا فإنه من الطبيعي وجود أعداد كبيرة من الأجانب في أكثر الحواضر المملوكية كالقاهرة ودمشق والقدس، والإسكندرية وحلب وبيروت وعكا وإفا وطرابلس وعجلون وعمان وغيرها من المدن.

فقد لاحظ الرحالة الأوروبي اليهودي عوبديا: "أن المرء يقابل في القاهرة أعداداً لا تحصى من الأجانب من كل أمة، ويتحدثون بكل لسان"^(١)، وبدهي أن بعضهم قد تعلم العربية نتيجة لمخالطته أهلها وإقامته الطويلة بين ظهرانيتهم، علاوة على أن بعض العائلات الإيطالية قد تخصصت في التجارة مع المشرق، منها: بيت الإخوة موروسيني Morosini الذين ذاع صيتهم في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، وكانوا يتجرون في بلاد الشرق وبخاصة في حلب، وكان لهم فرع هام يقيم في دمشق وبيروت^(٢)، كما أن بعضاً من الأسر البندقية اتخذت دمشق مركزاً لأعمالها التجارية مثل: أسرة كويريفي وأسرة باباريجو وأسرة واستورلادو^(٣).

١. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: ٦٧.

٢. ديل، البندقية: ٦٥.

٣. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى: ٣/٣٣٨.

ومن الإشارات الواضحة التي تدل على معرفة تجار الفرنج للغة العربية، واستخدام الدولة المملوكية لهم أحياناً تراجمة يقومون بمهام دبلوماسية أو يترجمون بعض النصوص، أن السلطان المملوكي قام باعتقال جميع الفرنجة في دولته بعد غارة ملك قبرس وأعوانه من الفرنج على الإسكندرية في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، وبقي تجار الفرنجة في الأسر حتى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م حتى قدمت سفن الفرنج للإسكندرية طلباً لافتكاكهم: " فلما سمعت أسارى الفرنج بقدمهم استغاثوا، فسمع السلطان استغاثتهم، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: نريد أن يسافر منا اثنان إلى أرض الفرنج، يكلمون الباب* والملوك في إيقاع الصلح، والطاعة لمولانا السلطان، ونعد مولانا السلطان بأن كليين منا قد هلكا إذا لم يرجعا، فرسم السلطان بذلك، فأرسلوا أرناط بن مرك البندقي وآخر معه^(١). وقد غاب التاجران نحواً من عشرة أشهر، وعادا بصحبة رسل البنادقة والجنوية والروادسة والقبارسة، ثم جرت مفاوضات الصلح بين الطرفين سوى القبارسة والروادسة. ويسرى جروسية أن بعضاً من البنادقة الذين أتقنوا العربية كانوا يعملون تراجمة في مفاوضات المعاهدات التجارية بين المماليك والبنادقة^(٢).

ومن التجار التراجمة الذين تحدث عنهم المصادر التاجر الإيطالي برتراندو دي ميجنانلي الذي ولد في إيطاليا سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، في أسرة من طبقة النبلاء، ثم غادر إيطاليا متجولاً في بلاد الشرق إلى أن استقر به المقام في دمشق التي أصبح بها من رجال المال والأعمال، وكما قال هو عن نفسه: وجدت هناك الثروة الوفيرة والشرف العظيم، لكن ذلك كان يقابله الكثير من الجهد والمخاطر الجمة.

وقد تعلم دي ميجنانلي خلال إقامته في دمشق اللغة العربية، وتمكن من العمل بالترجمة التحريرية والشفوية للسلطان المملوكي الظاهر برقوق

* المقصود به " البابا "

١. النويري، الإمام: ٦/٤٠٤-٤٠٥.

٢. عفاف السيد صيره، العلاقات بين الشرق والغرب: ٢٥٢.

ت ٨٠١هـ / ١٣٩٨م) وذلك عند وصول يعقوب دي كروز Jacob de Croze
سفيراً لدوق ميلان جيوفاني جاليزو Giovanni Galcazo .

وكان السفير قد حمل رسالة من الدوق يطلب بمقتضاها الإذن من السلطان
برقوق لإصلاح الباسيليكا في بيت لحم بفلسطين، كما يطلب حماية الآباء في
جبل صهيون.

وقد ترجم دي ميغانللي خطابات الدوق إلى اللغة العربية ورد السلطان
عليها إلى اللغة اللاتينية^(١).

وعلاوة على ذلك فإن بعضاً من كبار التجار الأعاجم قد قاموا بمهام السفارة
بين دولة المماليك وغيرها من الدول، وقد أطلق عليهم اسم " الخواجية " ^(٢)
وواحدهم " الخواجا " الذي كان من ألقابه في ديوان الإنشاء: " السفيري " الذي
يفسره القلقشندي بقوله: " لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب
المماليك والجواري ونحو ذلك، وهو منسوب إلى السفير: وهو الرسول والمصلح
بين القوم نسبة مبالغة، ولم يستعمله الكتاب مجرداً عن الياء " ^(٣)

ولا يخفى أن من يقوم بمهام السفارة بين الملوك لا بد له من معرفة لغة
البلاد المرسل إليها، لما تحتاج إليه الدبلوماسية الناجحة من قدرة على أداء
الرسالة، توسلاً لتحقيق الغرض المرجو منها، ولذلك خصّ السفراء والخواجية
بلقب: "تقة الدول" ^(٤).

١. أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي
ميغانللي عن حياة تيمور لنك: القسم الثاني: ٣.

٢. يقول القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢/٦: " الخواجا من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس
ونحوهم وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد، والخواجيُّ بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة، كأن الكاف
تدخل في لغتهم مع ياء النسب" .

٣. المصدر السابق: ١٥/٦.

٤. المصدر السابق: ٤٢/٦.

- القناصل:

لقد كان من النتائج الإيجابية لحركة التجارة النشطة بين دولة المماليك وجنوة والبنديقية وفلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية والممالك الأوروبية وجود عدد من القناصل الذين يراعون المصالح التجارية لهذه الدول، ولاشك أن اختيارهم كان بناءً على معرفتهم بأحوال الشرق العربي ولغته، الأمر الذي يحتم عليهم إقامة طويلة في الشرق واحتكاك وثيق بأهله.

ولدينا من النصوص ما يثبت معرفة القناصل للعربية، وقدرتهم على نقل مراسيم السلطان التي يصدرها بشأن رعاياهم إلى لغاتهم، فقد حدث خلاف بين مسلمي الإسكندرية وتجار الفرنج بشأن أسرى المسلمين وذلك في سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فما كان من نائب الإسكندرية إلا أن دعا قناصل الإفرنج المقيمين في المدينة، وقرأ عليهم كتاب السلطان المتضمن منع سائر الفرنج من السفر ما لم يردوا الأسرى: " فلما سمعت القناصلة والتجار ذلك كتبوا كتاباً بالخط الرومي ودخل به رجل من المسلمين البحر، وجعله بعقب رمح وغرز سنانه بقاع البحر ورجع إلي البر، فأتى قارب من مراكب الإفرنج أخذه ورجع به إلى المراكب، فلما قرأوه تيقنوا أن أصحابهم مأسورون" (١).

- رجال الدين المسيحي:

نجم عن تسامح الدولة المملوكية تجاه النصارى ومنهم رجال الدين خاصة، وجود عدد كبير منهم في مختلف الأماكن المقدسة الموجودة على أرض الدولة المملوكية في القدس وبيت لحم وسيناء والناصرية وطور سيناء وغيرها من الأماكن المقدسة.

وتشير المصادر إلى أن رجال الدين المسيحي المقيمين على أرض الدولة المملوكية كانوا يمثلون مختلف الطوائف المسيحية من: روم وسريان وأرمن وكرج وأقباط وأحباش وفرنسيسكان (٢)، وكانت لهم أديرتهم وكنائسهم التي يتمتعون فيها بأتم الحماية والرعاية من الدولة وفقاً لما تذكره وثائق هذه الطوائف الصادرة إليهم من ديوان الإنشاء المملوكي (٣).

١. النويري، الإمام: ١٩٢/٥-١٩٣.

٢. انظر: علي السيد حسن، القدس في العصر المملوكي: ٨٢-٨٧.

٣. انظر: Risani; Documenti E. Firmani, PP. 6-170. Ernst., Die Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai - Klosters, PP. 4-255.

وفوق ذلك فإن الإسكندرية كانت مركزاً لكرسي بطرك اليعاقبة الذي يتبع مذهبه نصارى النوبة والحبيشة^(١).

ولما كان رجال الدين المسيحي يمثلون مختلف الطوائف النصرانية فإنهم كانوا يعرفون لغاتها، ولذلك فإن الدولة المملوكية كانت تستعين بهم في أعمال الترجمة عند الحاجة، ويتضح ذلك من خلال:

أ- المشاركة والتصديق على الهدن بين المماليك والفرنج، فقد وقع المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م هدنة مع الجنوبية، وجاء رسل الفرنج إلى القاهرة لتوقيع الهدنة، فشهد عليها بطرس أسقف مصر وميخائيل الراهب من دير طور سيناء^(٢).

ب- تعريب الكتب الواردة إليهم ورفعها إلى السلطان المملوكي فيما إذا كانت متعلقة به^(٣).

ج- القيام بمهمة السفارة للسلطان المملوكي، وحمل رسائله إلى ملوك الغرب المسيحي، حيث استتجد صاحب الأندلس بالسلطان المملوكي في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م طالباً منه النصر على الفرنج الذين أشرفوا على أخذ غرناطة، فبعث السلطان قايتباي إلى: "القسوس الذين بالقيامة التي بالقدس، بأن يرسلوا كتاباً على يد قسيس من أعيانهم إلى ملك الفرنج صاحب نابل، بأن يكاتب صاحب قشتالية، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم، وإلا يشوش السلطان على أهل القيامة، ويقبض على أعيانهم، ويمنع جميع طوائف الفرنج من دخول القيامة..."^(٤).

- اليهود:

مما اتسمت به المجتمعات الإسلامية منذ عهد الرسول وفيما تلاه من العصور تسامحها مع اليهود، والقبول بوجودهم في إطار الدولة الإسلامية كأهل

١. انظر: صبح الأعشى: ٣٠٨/٥. وانظر: . Suriano, Treatise On The Holy Land, P. 90 .

٢. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور: ١٦٦-١٦٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ١٧٢-١٧٣.

٤. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

نمة خلافاً لما كان عليه حال يهود من اضطهاد وتقتيل في المجتمعات الأوروبية.

وانطلاقاً من قاعدة التسامح فإنه سمح لليهود بممارسة التجارة وجوب الآفاق بحثاً عن الثراء مما مكنهم من معرفة عدد من اللغات التي يتواصلون بها مع شعوب الأرض المختلفة، كما سمح لهم بالإقامة للعبادة في الأماكن المقدسة^(١).

وبناءً على ما تقدم فإن عدداً منهم قد برعوا في الترجمة وإتقان اللغات المختلفة، كما برعوا في التجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن المهمة آنذاك.

فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام أن مترجم السلطان المملوكي كان يهودياً من أصل أسباني، وكان عارفاً بسبع لغات هي العربية والإيطالية والتركية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية^(٢).

ويحدثنا الرحالة الأوروبي بيرو طافور الذي شرع في رحلته إلى الشرق سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م- وكان، تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي- أن تترجم السلطان من أصل يهودي لكنه أسلك فيما بعد، يقول: " فتلقاني المترجم بالترحاب العظيم وأنزلني في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لسماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان

١. انظر: F.f Suriano Treatise On The Holy Land . (Jerusalem, 1949), PP. 101-102.

٢. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: ٦٤.

اسمه في بداية الأمر "حايم" أما الآن فيدعى "صايم" وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتف عنه شيئاً من خبري لأنتفع بخدماته ونصحائه"^(١).

وجاء في إحدى الوثائق المؤرخة في ٢٩ من صفر ٨٢٦هـ/ ١١ من فبراير ٤٢٣م، وذكر لخمسة من التراجمة المسلمين المعتمدين لدى الدولة المملوكية وهم: شمس الدين محمد بن العادل، وتقي الدين محمد بن الأسيوطي وشمس الدين محمد بن عمر ومحمد بن حمزة ومحمد بن علي بن كندك، ومترجم يهودي اسمه مردوخ بن شموال^(٢).

١. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي: ٦٤-٦٥.

٢. صبحي لبيب، "الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية: ٢٩٦ ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط. ويبدو أن عائلات يهودية قد تخصصت في موضوع الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية من قبل العصر المملوكي ومن بعده. ففي ملخص لدراسة بعنوان "المترجمون إلى اللغة العربية في وهران في القرن ١٦" وهي من إعداد شانغال دي لافيرون من المركز الوطني للبحث العلمي بباريس مانصه: "عند البحث في الأرشيف العام بسيمنكا (إسبانيا) حول موضوع وهران أثناء الاحتلال الإسباني لاحظنا غياب وثائق الإدارة الإسبانية فيما بين ١٦٥٢-١٦٦٨ إلا أننا عثرنا على هذه الوثائق في لندن وجوناف. وتبين لنا أن أغلبها تتناول العائلات اليهودية الرئيسية في وهران والتي من بينها عائلات تتمتع بامتياز المناصب الرسمية للمترجمين إلى العربية ومن بين هذه العائلات توجد عائلة كانسينو، وقد مكنتنا وثائق المتحف البريطاني والمكتبة الجامعية بجوناف من تتبع حياة وسير بعض أعضائها المترجمين إلى العربية لدى حكام وهران. وبالإضافة إلى كانسينو توجد عائلات زابورتاس والألبو التي تعتبر من ضمن العائلات السبعة التي سمح لها الأسبان بالإقامة بوهران. إن الوثائق المذكورة أعلاه تتحدث عنها في عدة مناسبات وتشير إلى أن بعض أعضائها كانوا مترجمين إلى العربية، انظر: (المجلة التاريخية المغربية، السنة ١٧، العدد ٥٩-٦٠، سنة ١٩٩٠).

فهرست المصادر والمراجع

أحمد عبد الكريم سليمان:

- تيمورنك ودولة المماليك الجراكسة. ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٥٣م).

- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى، ط ٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤.

بروكلمان، كارل:

- تاريخ الأدب العربي، القسم السادس (١٠-١١). نقله إلى العربية: حسن محمود إسماعيل، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

- المنهل الصافي والمستوفى على الوافي (١-٦). تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، ط ١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسين (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد أمين، ط ١، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦-١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر. تحقيق: حسن حبشي، ط ١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسين مؤنس:

- "سفارة بدرو مارتيرد أنجلاريا"، ضمن كتاب: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (ت ٩هـ/١٥م):

- المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى ديوان الإنشاء. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

الدروبي، سمير:

- "حركة التعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٦٢ع، ص ١١-٧٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ن.

- "منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد الملك السعدي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، ع ١، مجلد ٨، سنة ١٩٩٩م.

ديل، شارل:

- البندقية جمهورية أرستقراطية. ترجمة: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م):

- معيد النعم ومبيد النقم. ط ١، دار الحدائق، بيروت، ١٩٨٣م.

السخاوي، شمس الدين عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- الذيل على رفع الإصر. تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

سعید عبد الفتاح عاشور:

- مصر والشام في عصر الإيوبيين والمماليك. دار النهضة، بيروت، بلا تاريخ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٠م).

- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيطة، فرانز شتاينر بفيسدان، ١٩٨٣م.

الشيبياني، أحمد بن أبي الفتح (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)

- رسالة رصف الفريد في وصف البريد، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

صبحي لبيب:

- "الفندق: ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية". ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة - باريس، ١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٦٧٣هـ/١٣٦٧م):

- أعيان العصر وأعوان النصر. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفندي رقم (١٨٠٩)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٠م.

- الوافي بالوفيات. تحقيق: هلموت ريتز وأخرون، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦.

الصيرفي، علي بن داود (ت ٨٧٩هـ/٤٧٤م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

طافور:

- رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة وتقديم: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبدالله (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

- تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق: مراد كامل، ط ١، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦١م.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق: عبد العزيز الخويطر، ط ١، الرياض، ١٩٧٦م.

عبد المنعم ماجد:

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر. ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

عفاف صبرة:

- العلاقات بين الشرق والغرب. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):
- التعريف بالمصطلح الشريف. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٢م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. مخطوط أحمد الثالث، طوبقابوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).
- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٤٩هـ/١٤٥١م):
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد. تحقيق: فهمي محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، مطبعة علاء، القاهرة، ١٩٨٥م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ-٨٥٠هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م):
- تاريخ ابن الفرات. عني بتحريير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.
- قاسم عبده قاسم:
- اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس، ١٩٨٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية. بلا تاريخ.

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

- إغاثة الأمة بكشف الغمة. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك. تصحيح: محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرزية. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

النويري، محمد بن القاسم (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية. تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م.

هايد، ف:

- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. عربه عن الترجمة الفرنسية: أحمد محمد رضا، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م.

ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢١٧م):

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسن محمد ربيع، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٧٧م.

اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر. تحقيق ودراسة: أحمد حطيظ/ ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.